محور /دور ضحية في الجريمة

د/ حطابي صادق

المحاضرة/
دور الضحية في حدوث الجريمة

تشير بعض الآراء التي تناولت الدراسة العلمية لضحايا الجريمة إلى احتمال إسهام الضحية في حدوث الفعل الإجرامي، ذلك أن للضحية دورا في تحديد وصياغة تشكل الفعل الإجرامي، كما يمكن أن يتخذ دورا هاما ومحددا لحدوث هذا الفعل، هذا بالإضافة إلى الدور الذي يمكن أن تقوم به الضحية في تهيئة الفرصة لوقوع الفعل الإجرامي، وبالتالي فإنه من الناحية الجنائية يعتبر مسؤولا بشكل جزئي عن وقوع الجريمة، لأنه يسهم في تهيئة الفرصة الملائمة لوقوعها ومحاور هذا الفصل تكشف عن الدور الذي يمكن أن تسهم بها الضحية في وقوع الجريمة.

1 : ما المقصود بالدور

إن الدور مفهوم نحدده الزاوية التي نبحث منها، فمثلا

الدور من زاوية البناء الاجتماعي: هو وضع اجتماعي ترتبط به مجموعة من الخصائص الشخصية، ومجموعة من أوجه النشاط الذي له قيمة على مستوى الفرد والمجتمع ومن زاوية التفاعل الاجتماعي: هو مجموعة من الأفعال المكتسبة يؤديها شخص في موقف تفاعل اجتماعي، يحدده واقع يسعى الفرد إلى إرضائها بالقيام بتلك الأعمال، أما من حيث جانب المجتمع فهو المردود الخدمي، أي مجموعة الخدمات التي تؤديها تلك الأعمال للحماية.

أما من الناحية الثقافية: فهو الأنماط المعيارية المتصلة بمركز معين، وهو مركز حركي ذو علاقة واضحة بالمعايير السلوكية محوره الاتجاهات والقيم والسلوك، الذي يحدده المجتمع لمن يشغل مركزا معينا. [1]

---

[1] : هادي عاشق بداي الشهري :**دور الضحية في حصول الفعل الاجرامي من منظور طلاب الحامعة**،دراسة مسحية على الطلبة اطروحة دكتوراه جامعة نايف للعلوم الامنية،الرياض، 2011 ص69.

ومن الناحية النفسية الإجتماعية: يعني سلوك الفاعلين المختلين للمراكز الإجتماعية والسلوك والتوقعات تحدد ما ينبغي أن يفعله الشخص كشاغل لمركز معين على مستوى جماعة ما أو على مستوى المجتمع ككل، وهذه المواصفات قد يحددها الشخص لنفسه أو تحددها له جماعة ما أو يحددها المجتمع ككل في شكل قيم ومعايير، وفي علم الإجتماع: الدور هو نمط من الدوافع والأهداف والمعتقدات والقيم والاتجاهات والسلوك الذي يتوقع أعضاء الجماعة أن يوره فمن يشغل وظيفة ما أو يحتل وضعا اجتماعيا معين والدور الذي يصف السلوك المتوقع من شخص في موقف ما.

وفي علم الضحايا: يقصد بالدور هنا الأساليب والطرق والسولكات والأفعال التي يقوم بها الضحية ويساعد في تهيئة ظرف حصول الفعل الإجرامي ضده والتي تنعكس عليه فيها فيما بعد ويصبح هو الضحية.[2]

2 / الأدوار التي تلعبها الضحية في حدوث الجريمة:

للإشارة فإن الضحية تلعب أدوراً في حدوث الفعل الإجرامي وهذه الأدوار متباينة حسب الدراسات المتناولة فنجد: دور الضحية في تهيئة فرص حدوث الجريمة وذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة ودور الضحية في خلق ظروف الجريمة ودوافعهما وأيضا دور الضحية بالمشاركة في حدوث الجريمة وكذلك دور الضحية في حدوث جرائم مستترة وأيضا دور الضحية في تسهيل إتمام الجريمة.

تهور المجني عليه: إن أحد التفسيرات الرئيسية حول دور الضحية في حدوث الجريمة هو قيامه بالدور الإستفزازي من خلال أنه يبدأ بالمواجهة الإستفزازية سواء بالألفاظ أو الحركات ثم يستجيب له الطرف الأخر بإذئه أو قتله، وأول من أشار إلى دور الضحية من خلال تصوره واستفزازه هو العالم "مارفن "و"ولفقانق" حيث وجد أن 25% من جرائم القتل سببها تصور الضحية واستفزازها للجاني، ثم وجد مناحي عامر في دراسته المشهورة عن الاغتصاب، وباختصار يرى هذا المدخل النظري من خلال مفهوم التهور أو استفزاز المجرم من قبل الضحية دوراً رئيسياً بل سببا كافيا، ولولا دور الضحية لما حدثت الجريمة وبالذات الاغتصاب، عندما تكون هناك معرفة مسبقة بين الطرفين، والتي قد تنتهي بالقتل.[3]

---

[2] : استرفعت بتاريخ 20-01-2016 30-13 من موقع http://disam.maktoobblolg.com

[3] : عابد الوريكات: مرجع سبق ذكره 6 0 44.

2- **اتباع الضحية نشاط روتيني** : يعني الروتين اليومي عند فيلسون مجمل النشاطات اليومية التي يقوم بها الفرد في المجتمع المعاصر أو المتقدم صناعيا بشكل روتيني، دون أي كسب حسابا لما قد ينتج عنها من عواقب، وبخاصة في مجال الأفعال الإجرامية والإنحراف، وهذه النشاطات الروتينية كانت نتيجة للتغير الإجتماعي الذي حصل ببعد الحرب العالمية الثانية في الولايات المتحدة الأمريكية ومؤشرات هذا التغير يمكن حصرها فيما يلي[4]:

- تمركز النشاط اليومي للفرد الأمريكي خارج البيت.
- الزيادة في عدد الأسر المشكلة من ولي أمر واحد.
- الزيادة في عدد الطلاب مع وجود مسؤولية عائلية لديهم، أي يدرس ويشتغل.
- الزيادة في قضاء وقت الفراغ خارج البيت.
- الزيادة في المقتنيات الثمينة، والصغيرة لدى الأسر الأمريكية.

كل هذه المؤشرات قد تصبح دوافع لزيادة الأفعال الإجرامية ويشتركون الضحايا بأدوار في حصول الأفعال الإجرامية ضدهم بسبب التغيرات الإجتماعية وخاصة نمط حياتهم.

أمثلة على النشاط الروتيني الذي يقوم به الإنسان يوميا دون أن يدرك تماما عواقبه أو أنه يكون مساهم في حصول الأفعال الإجرامية ضدها حسب عرضها فيلسون في مقال له سنة 1992م.

- كيفية توثيق السيارة بشكل يومي رتب (في مكان واحد وقت واحد...)
- النمط الروتيني في قضاء الإجازات لأسبوعية والسنوية...
- النمط الروتيني في الخروج مع أفراد العائلة للتسويق أو أهداف أخرى.
- النمط الروتيني في إدخال الغرباء إلى البيت دون اخذ الحيطة والحذر.

---

[4]: عابد الوريكات: **نظريات علم الجريمة**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2004.. 229.

إدخال أصدقاء الأطفال من المراهقين وخاصة الغرباء منهم إلى البيوت والممتلكات دون أخد الحيطة والحذر.[5]

3- التقارب أو الوفاق: تفترض نظرية التقارب إمكانية التنبؤ بالأشياء المعرَّضة للتأثر يبعضها بحكم الوفاق والتقارب سواء في النوع أو الخصائص أو الزمان والمكان. وتؤكد هذه الفرضية وجود علاقة مباشرة بين النفوذ والمسافة، فكلما تقاربت المسافات وقصرت ارتفعت درجة التأثير، وقد تم تطبيق هذه النظرية لوصف الأنماط المختلفة من القضايا، كبيان مستويات الجريمة المرتفعة في بعض المناطق الحضرية عن غيرها. وتشير فرضية التقارب إلى أن الأماكن الكثيفة بالمساكن أكثر عرضة لمستويات الجريمة عنها في المناطق متباعدة المساكن ومع ذلك فهناك من الباحثين من يدحض هذه الفرضية، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك والإدعاء بأن لتوافق خصائص الأفراد في الأماكن السكنية المتقاربة والكثيفة أكثر عرضة للإجرام من غيرهم، في الحين الذي يقف فيه باحثون آخرون ضد هذا المفهوم.

إلا أن المسوحات الوطنية الأمريكية دلَّت على أن المجرمين وضحاياهم يشتركون في الكثير من الصفات الشخصية والخصائص، ومنها(النوع، والعرق، والعمر، والطبقة الاجتماعية، والبيئة ، والسكن أو الجيرة) فالمجرم يختار ضحيته تبعاً للظروف والعوامل الاجتماعية السابقة. ولكننا نرى بأن هذه النتائج قد لا تكون دقيقة ولا تنطبق على جميع الضحايا؛ وإنما تكون قابلة للتطبيق على جرائم الاغتصاب والإيذاء والفساد الإداري إلى حد ما؛ فعندما يعيش المجرم وضحيته في أماكن متقاربة ويمارسان أنشطة روتينية متشابهة؛ فقد تتشابه أنماط حياتهما ومعيشتهما كارتياد الأماكن العامة مثل المجمعات والمحلات التجارية والمقاهي وغيرها. فيحدث أن يعيش المجرم ذو الدافعية وضحية كامنة في منطقة واحدة.

4- الجماعات المتكافئة: يرى اصحاب هذا الاتجاه بأن المجرمين وضحاياهم ليسوا جماعة مختلفة ومتباينة؛ بل هم متكافئون، وهناك دراستان في هذا المجال؛ قامت بالدراسة الأولى سايمون سنقر(Singer,1981) وكان من أبرز نتائجها أن ضحايا جرائم العنف غالباً ما يرتكبون الجرائم في المستقبل؛ وينطبق هنا الرأي السلوكي بأن" العنف يولد العنف" ويمكن أن يفسر ذلك من خلال نظريات التعلم ونظريات التعزيز والتقليد والثقافات الفرعية. أما الدراسة الثانية فقد قامت بها

---

[5] : المرجع نفسه 230.

مكرورت(Mcderott,1983) ووجدت أن ضحايا جرائم المدارس غالباً ما يرتكبون الجرائم من أجل استعادة مسروقاتهم أو رد اعتبارهم ذاتياً؛ وذلك في إطار احترامهم لذاتهم.

وهكذا فإن المتتبع لتأريخ علم الضحية يجد أن للدراسات التي أجريت على ضحايا الجرائم دوراً بارزاً في إعادة تشكيل نظام علم الجريمة بأكمله، و رغم ذلك لم يأخذ مساره في التطور والتقدم في كل دولة من دول العالم، إذ قد نراه متقدماً في بعض الدول و متجاهلاً في دول أخرى، وقد أدى تراجع المداخل النظرية في علم الضحية في الوقت الحالي إلى ظهور الإنجازات التطبيقية والإسهام في دفع عمليات جمع البيانات، و محاولة الصياغة النظرية، إضافة إلى التشريعات الجديدة التي تتعلق بالضحية، والجهود المساعدة لتحسين وضع الضحايا، والتخفيف عنهم مما يقعون فيه، ثم انبثقت من المداخل النظرية نماذج مختلفة في محاولات لشرح الاختلافات الحادة في المخاطر التي تواجه الضحايا.

ويمكننا القول بأن تحديد دور الضحية كسبب في وقوع الجريمة يعتمد على وصف الضحايا وخصائصهم وعلى تصنيفاتهم المختلفة والعوامل البيئية المساعدة في تعرّضهم ضحايا للجريمة، وتختلف العوامل الداخلية والخارجية من مجتمع إلى آخر وفقاً لنوع الأنظمة السائدة في ذلك المجتمع؛ ففي الحين الذي يمكّننا فيه عزو سبب الجريمة إلى عوامل تتعلق بالجاني في بلد يتسم بالاستقرار السياسي والاقتصادي والأمني، فإننا قد نلوم الضحية الذي يمنح الفرصة في مكان تغلب عليه الفوضى وعدم الاستقرار، إذ أن دور الضحية نسبي ويختلف باختلاف المواقف وأنماط الجرائم وملابسات وقوعها.

وفي ذات الوقت لا يكفي الاعتراف بأن الضحية لا تلعب دوراً مهماً في الملاحقات الجنائية فقط بل يجب أن يتم حمايتها من مزيد من الضرر والأذى وتزويدها بالدعم لتتمكن من المساعدة في الإجراءات الجنائية والتغلب على محنتها من الجريمة والحصول على التعويض عن خسائرها. إذ أن آثار الجريمة لا تقتصر على الأذى الجسدي والخسائر المادية بل تتعداها في حالات كثيرة إلى الجانب النفسي والعاطفي وتستمر إلى أمد طويل.